صورة الدولة مصغرة (٢)

مررت تحت (قوس النصر) المتصل بجهاز كشف المعادن في المطار واصدر الجهاز صوته الكريه المعتاد، ولم يكن هناك من يرد، فقد تركه صاحبه واصبح يعمل (فلترا بشريا) اما الباب كما سبق واسلفنا. تاخر الطائرة وعدم وجود مكان ولو شبه مريح ونصف لائق لاجلس فيه واقرأ في الكتاب الذي احضرته معي دعاني للتجول في ارجاء المطار واكتشاف طوابقه الاخرى والتي لم يسبق لي رؤيتها.

كانت المحطة الاولى كافتريا المطار والتي ذكرتني بمثيلاتها في الدول الشيوعية قبل عشرات السنين، فالمنظر مغم وبائس والوجوه من خدم وضيوف مكفهرة ومتعبة ودخان السجائر يملأ الاجواء وكانك في قبو. والشيء الوحيد المختلف هو عدم وجود زجاجات مشروبات روحية رخيصة على الطاولات.

نزلت للحمامات واكتشفت ان المنطقة المحيطة بها تخضع لتعديلات متعلقة بتركيب مكيفات سقف منفصلة، واستغربت اختيار هذا الوقت بالذات من السنة لاجراء مثل هذه التعديلات وهو الوقت الاكثر ازدحاما. وخاصة ان هذه المكيفات لن يتم استعمالها قبل خمسة اشهر على الاقل. نزلت للسرداب وبدأت علامات وجود دورة مياه تصفق حاسة الشم عندي منذ الدرجة الاولى، وتخيلت ما سيكون عليه الحال عند الدرجة الاخيرة ولم يخب ظني فقد كانت الارض، ودون مبالغة، مغطاة بما هو خليط من (..) والماء والطين، وكل ذلك معجون مع كمية من ورق التواليت المستعمل والذي احالها وارضية الحمام المصنوعة من الرخام الابيض الى سخام قذر مقزز. تلتفت حولك وتشاهد وضعا بائسا من «مباول» قذرة والماء يجري فيها دون توقف وتفتقد ورق التنشيف او «التواليت» ولا تجد غير حاجز قذر ...طاسات مدلاة داخل المراحيض العربية ...طاة بكل ما تتخيله من امور. خرجت ...مسرعا قبل ان اصاب بما لا تحمد عقباه.

ذهبت الى الخارج لاستنشق بعض الهواء النقي، واخذت اتجول في الساحة المواجهة لمبنى الوصول، اكتشفت وجود ...مبنيين انيقين في وسطها مضاءين بكشافات مبهرة ومكلفة ومكتوب عليها بخط جميل (بيت الزكاة) ودون تحديد الغرض من المبنى. اقتربت اكثر قليلا (لضعف في النظر) اكتشفت انهما مخصصان «لماء السبيل» وقد تم تركيب ٦ حنفيات شرب في كل مبنى وهذا يعني ان بامكان المبنيين سقاية ١٢ شخصا في اية لحظة ولو افترضنا ان عملية ارواء العطش تستغرق نصف دقيقة لكل شخص فان هذا يعني ان بامكان هذين المبنيين خدمة ثلاثة الاف شخص في اليوم الواحد وهذا يزيد عن حاجة اكبر مطار في العالم، ولا ادري لماذا نصر على ربط عمل الخير بانشاء «ماء سبيل» او بناء مسجد مثلا وهناك عشرات اوجه الخير المطلوب المساهمة فيها، والتي كان من الاجدر ببيت الزكاة الاهتمام بها كوضع مظلات وكراسي مريحة لمئات الناس الذين كانوا يفترشون الارض بطريقة بعيدة عن الانسانية والذوق معا، وكان من الافضل ايضا توزيع نقط ماء السبيل بطريقة اكثر عدالة بدلا من تركيب ٢٤ حنفية في محيط ١٠٠ متر مربع.

احمد الصراف